١٨

موقف الدكتور وهبة الزُحيلي

من رواية الحديث بالمعنى من خلال كتابه: (التفسير المنير).

الباحث: م. م. علي حسن عبيد صالح

أ. د. محمود حميد مجبل

جامعة الأنبار/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

ملخص البحث باللغة العربية:

اهتم العلماء اهتماما بالغا في حفظ السنة النبوية، ومن أهم وسائل حفظ السنة النبوية هو الاعتناء بصحة النقل مع دقة الألفاظ، فأحيانًا يُعبر الراوي عن الحديث بألفاظه، أو ألفاظ مقاربة من دون أن يُخل بالمعنى الأصلي للحديث، لذلك كان موضوع رواية الحديث بالمعنى موضع اهتمام المحدثين، حتى وضعوا ضوابط مشددة في نقل الحديث خوفا من التزييف والتحريف، ومع تلك الضوابط اختلفت أنظارهم فبعضهم منع رواية الحديث بالمعنى، وبعضهم أجازه بشروط، لذلك تناولت في هذا البحث رواية الحديث بالمعنى عند الدكتور وهبة الزُحيلي في كتابه: "التفسير المنير"، لأتعرف على منهجه في تفسيره، من خلال بعض الأمثلة التوضيحية، وقد تضمن هذا البحث على مقدمة، ومبحثين، فتكلمت في المبحث الأول عن حياة الزُحيلي، وفي المبحث الثاني عن موقف الزُحيلي من رواية الحديث بالمعنى، مع خاتمة بأهم النتائج التي توصلت إليها، وقائمة بالمصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: الزُحيلي، الحديث بالمعنى، التفسير المنير.

Abstract of the research in Arabic:

Scholars have paid great attention to preserving the Sunnah of the Prophet, and one of the most important means of preserving the Sunnah of the Prophet is to take care of the authenticity of the transmission with the accuracy of the words. Sometimes the narrator expresses the hadith with his words, or similar words without compromising the original meaning of the hadith. Therefore, the subject of narrating the hadith with the meaning was of interest to the hadith scholars, until they set strict controls in transmitting the hadith for fear of falsification and distortion. Despite these controls, their views differed. Some of them prohibited narrating the hadith with the meaning, and some of them permitted it with conditions. Therefore, in this research, I discussed narrating the hadith with the meaning according to Dr. Wahba Al-Zuhayli in his book: "Al-Tafsir Al-Munir", to learn about his approach in interpreting it, through some illustrative examples. This research included an introduction and two sections. In the first section, I talked about Al-Zuhayli's life, and in the second section about Al-Zuhayli's position on narrating the hadith with the meaning, with a conclusion with the most important results I reached, and a list of sources and references

Keywords: Al-Zuhayli, Hadith by meaning, The Enlightening Interpretation.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

تُعدُّ مسألة رواية الحديث بالمعنى من المسائل التي شغلت العلماء قديما وحديثا، ورواية الحديث بالمعنى من الأساليب التي يلجأ إليها بعض رواة الحديث النبوي لنقل الحديث دون الالتزام بدقة الألفاظ، حيث يقوم الراوي بالتعبير عن الحديث بأسلوبه الخاص دون الإخلال بالمعنى المراد من الحديث الشريف، وهذا أدى إلى تباين الألفاظ مع ثبات المضمون، لذلك نرى العلماء اختلفوا في حكم روايتها بين مانع لها مطلقا، وبين من أجازها بشروط وضوابط معينة، ومن العلماء المعاصرين الذين أثاروا قضية رواية الحديث بالمعنى هو الدكتور وهبة الزُحيلي من خلال كتابه (التفسير المنير)، حيث نقل أحاديث كثيرة أغلبها التزم بالنص الأصلي، ومنها رواها بالمعنى، لذلك أردت من خلال هذا البحث أن أبين موقفه من رواية الحديث بالمعنى، فكان العنوان: (موقف الدكتور وهبة الزُحيلي من رواية الحديث بالمعنى من خلال كتابه: التفسير المنير)، فاقتضت طبيعة البحث أن يكون من مبحثين، الأول: تكلمت فيه عن حياة الزُحيلي (رحمه الله) بصورة مختصرة، والثاني: تكلمت فيه عن موقف الزُحيلي من رواية الحديث بالمعنى، وختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، وقائمة بالمصادر والمراجع، والله الموفق.

أهداف البحث:

يهدف البحث بصورة عامة إلى بيان معنى رواية الحديث بالمعنى، وحكمها، ويهدف بصورة خاصة إلى بيان موقف الزحيلي من رواية الحديث بالمعنى من خلال دراسة نماذج تطبيقية من تفسيره المنير.

أسئلة البحث:

يهدف هذا البحث الإجابة عن الأسئلة التالية:

١- من هو الدكتور وهبة الزُحيلي؟

٢- ما حكم رواية الحديث بالمعنى؟

٣- ما موقف الزُحيلي من رواية الحديث بالمعنى؟

٤- هل وردت أحاديث عبر عنها الزُحيلي بمعناها دون لفظها؟

منهجية البحث:

سلكت في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي الذي يهدف إلى تتبع الأحاديث التي عبّر عنها الزُحيلي بالمعنى؛ للتعرف على منهجيته فيها، من خلال كتابه التفسير المنير، مستعينًا بكتب الحديث التي خرجت هذه الأحاديث، وأقوال العلماء الذين عبروا عن رأيهم في هذه المسألة.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن تكون كالتالي:

المقدمة.

المبحث الأول: حياة الدكتور وهبة الزُحيلي.

المبحث الثاني: موقف الزُحيلي من رواية الحديث بالمعنى، واشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: حكم رواية الحديث بالمعنى.

المطلب الثاني: موقف الزُحيلي من رواية الحديث بالمعنى

الخاتمة: وذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

وقائمة بالمصادر والمراجع.

المبحث الأول:

حياة الدكتور وهبة الزُحيلي

يشتمل هذا المبحث على تعريف مختصر بحياة الدكتور وهبة الزُحيلي (رحمه الله)، لذلك سأقتصر على اسمه ونسبه ومولده ونشأته، وبعض شيوخه، وآثاره العلمية، ووفاته.

أولاً: اسمه ونسبه: هو أبو عبادة وهبة بن مصطفى بن وهبة بن محمد الزحيلي، الفقيه، الأصولي، المفسر[١]، والزُحيلي ينتسب إلى مدينة "زُحلة"[٢] في لبنان، حيث تعود أصول عائلته إليها، وقد جاء جده من مدينة "زُحلة" واستقر في بلدة "دير عطية"[٣] في ريف دمشق، ولم يكن في ذاك الوقت حدود بين البلاد العربية[٤].

ثانيًا: مولده ونشأته: ولد الدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي في بلدة دير عطية من ريف دمشق عام (١٣٥١هـ – ١٩٣٢م) لأبوين كريمين موصوفين بالصالح والتقوى، نشأ في بلدة "دير عطية" وأكمل فيها دراسته الابتدائية، وبعدها رحل إلى دمشق فأكمل الثانوية، والبكالوريوس من كلية الشريعة، وبعدها رحل إلى مصر طلبًا للعلم فتحصل على عدد من الإجازات العلمية على عدد من شيوخها، وأكمل بعدها الماجستير ثم الدكتوراه من كلية الحقوق في القاهرة[٥].

ثالثًا: شيوخه:

لم يكن الدكتور وهبة الزحيلي (رحمه الله) ليتبحر في العلوم لولا أن الله تعالى يسَّر له عددًا من الشيوخ لينهل من علومهم، ويرتوي من معارفهم، فقد يسَّر الله له أن اغترف من معين الكثير من العلماء وفي شتى التخصصات الأمر الذي جعله عالمًا موسوعيًا متبحرًا في علومٍ شتّى، لذلك سأقوم بذكر بعض من شيوخه.

١- الشيخ محمود ياسين: هو الفقيه اللغوي المحدّث، ولد بدمشق سنة (١٧٨٧م)، حفظ القرآن الكريم، ودَرَسَ العلوم المتنوعة كالفقه والحديث وتحقيق المخطوطات على عدد من المشايخ، درَّس في مدارس دمشق ومساجدها، له مصنفات عدَّة في التوحيد والفقه والنحو والصرف، توفي رحمه الله سنة (١٩٤٨م)، قرأ عليه الزحيلي في الحديث[٦].

٢- الشيخ محمد هاشم الخطيب الشافعي: فقيه شافعي، ولد بدمشق سنة (١٨٩٠م)، ودرس فيها حيث حفظ القرآن الكريم صغيرا، تلقّى العلم على يد علماء عصره، حتى أتقن عددا من العلوم ومن أهمها اللغة العربية والفقه، له عدة مؤلفات منها: "مفتاح السعادة، ودليل الحيران، ورسالتان في الحجاب"، توفي الشيخ سنة: (١٩٥٨م) قرأ عليه الزحيلي في الفقه، وتأثر به في التوجيه وتبيان المعايير الصحيحة للإسلام [٧].

٣- الشيخ حسن بن محمد الشطي: ولد سنة (١٨٧٩م)، وتلقى العلوم الابتدائية في المدارس الأهلية والعسكرية، حفظ القرآن الكريم صغيرا، وتلقى العلوم على يد ثلة من مشايخ الشام، تقلد عددا من المناصب الإدارية في دمشق، تلقى عليه الدكتور الزحيلي "علم الفرائض، والأحوال الشخصية، وأحكام الأوقاف"، توفي سنة (١٩٦٢م)[٨].

رابعاً: آثاره العلمية:

تنوعت الآثار العلمية للزُحيلي (رحمه الله) بين العقيدة والفقه وأصوله والتفسير والحديث، وعلوم شتى حتى وصلت إلى ما يقارب المئة مصنف تنوعت بين المصنفات الموسوعية، وبين الكتب، والبحوث العلمية، ومن أهم هذه المصنفات:

١- نظام الإسلام – العقيدة الإسلامية[٩].

٢- "آثار الحرب في الفقه الإسلامي"[١٠].

٣- أصول الفقه الإسلامي[١١].

٤- "التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج"[١٢].

٥- "السنة النبوية الشريفة، حقيقتها ومكانتها عند المسلمين"[١٣].

خامسًا: وفاته:

بعد حياة حافلة بالعبادة والعلم والتأليف والتدريس وإفادة العباد؛ توفي الدكتور وهبة مصطفى الزحيلي في مدينة دمشق صباح يوم السبت: (٢٣ شوال ١٤٣٦هـ)، الموافق: (٢٠١٥/٨/٨م) عن عمر ناهز (٨٣) عاما، رحمه الله رحمة واسعة[١٤].

المبحث الثاني

موقف الزُحيلي من رواية الحديث بالمعنى

اشتمل هذا المبحث على مطلبين، الأول: حكم رواية الحديث بالمعنى، والثاني: موقف الزُحيلي من رواية الحديث بالمعنى.

المطلب الأول

حكم رواية الحديث بالمعنى

رواية الحديث بالمعنى: "هو أن يعمد الراوي إلى تأدية معاني الحديث بألفاظ من عنده"[١٥] وقد اشترط العلماء شروطًا مشددة لضمان الدقة في إيراد الحديث من دون زيادة أو نقص، ومع ذلك فقد اختلفت أنظار العلماء والمحدثين في قبول رواية الحديث بالمعنى ومنعها، إلى فريقين، ولكل فريق أدلتهم:

الفريق الأول: منع فريق من المحدثين رواية الحديث بالمعنى وهذه بعض أقوالهم:

قال القاضي عياض[١٦]: "ينبغي سد باب الرواية بالمعني لئلا يتسلط من لا يُحسن ممن يظن أنه يُحسن كما وقع لكثير من الرواة قديمًا وحديثًا والله الموفق"[١٧].

وقال أيضًا: "كان الإمام مالك بن أنس يقول: "وأما حديث رسول الله ﷺ فأحب أن يُؤتى به على ألفاظه[١٨]"

وأما أبو بكر بن العربي المالكي[١٩] فإنه يرى أن رواية الحديث بالمعنى جائزة للصحابة دون غيرهم؛ وعلل ذلك بأمرين:

الأول: "فصاحتهم وبلاغتهم، إذْ جِبِلَّتُهُمْ عَرَبِيَّةٌ، وَلُغَتُهُمْ سَلِيقَةٌ".

الثاني: "أنهم عاينوا قول النبي ﷺ، وشاهدوا فعله، فأفادتهم المشاهدة عقل المعنى جملة، واستيفاء المقصد كله، وليس من أخبر كمن عاين"[٢٠].

أدلة المانعين:

أولاً: الحديث المشهور: وهو ما روي عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ"(٢١).

ثانيًا: ما روي عن بعض الصحابة أمثال عمر بن الخطاب، وصهيب الرومي وغيرهما حيث كانوا يتشددون في قبول الرواية باللفظ حتى حملهم عن الكف عن رواية الحديث ما دام غيرهم يقوم بهذه المهمة خوفا منهم عن الوقوع في الزيادة أو النقصان في ألفاظ الحديث(٢٢).

الفريق الثاني: أجاز فريق من المحدثين رواية الحديث بالمعنى وهذه بعض أقوالهم:

رَخَّص في سوق الحديث بالمعنى، دون سياقه على اللفظ، جماعة منهم: علي، وأنس بن مالك، وابن عباس، وأبو الدرداء، وأبو هريرة –رضي الله عنهم– ثم رخصه جماعة من التابعين منهم الحسن البصري ثم الشعبي وإبراهيم النخعي وعمرو بن دينار ومجاهد وعكرمة نقل ذلك عنهم في كتب سيرهم بأخبار مختلفة الألفاظ(٢٣).

قال ابن سيرين: "كنت أسمع الحديث من عشرة، المعنى واحد والألفاظ مختلفة"(٢٤).

وكذلك اختلفت ألفاظ الصحابة في رواية الحديث عن رسول الله ﷺ فمنهم من يرويه تاما ومنهم من يأتي بالمعني، ومنهم من يورده مختصرًا وبعضهم يغاير بين اللفظين ويراه واسعا إذا لم يخالف المعنى، وكلهم لا يتعمد الكذب، وجميعهم يقصد الصدق(٢٥).

أدلة المجيزين:

ما رواه الطبراني عن أُكَيْمَةَ اللَّيْثِيُّ قَالَ: "قُلْنَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: بِأَبِينَا أَنْتَ وَأُمِّنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ , إِنَّا لَنَسْمَعُ الْحَدِيثَ فَلَا نَقْدِرُ عَلَى تَأْدِيَتِهِ كَمَا سَمِعْنَاهُ قَالَ: "إِذَا لَمْ تُحِلُّوا حَرَامًا وَلَا تُحَرِّمُوا حَلَالًا فَلَا بَأْسَ"(٢٦).

واستدلوا أيضا على جواز رواية الحديث بالمعنى بإجماع المسلمين على جواز شرح معاني الشرع للعجم، فإذا أجيز ابدال العربية بعجمية، فمن باب أولى جواز ابدال العربية بعربية، وبهذا احتج الإمام الشافعي وغيره(٢٧).

واستدلوا أيضا على ذلك بأن كثيرا من الصحابة كانوا أميّين لا يكتبون، وقد رووا الأحاديث بعد مدة، وربما تكون الألفاظ بعضها قد بدل(٢٨).

وهذه جملة من أقوال العلماء في بيان جواز رواية الحديث بالمعنى:

قال واثلة بن الأسقع(٢٩): "حَسْبُكُمْ إِذَا مَا حَدَّثْنَاكُمْ بِالْحَدِيثِ عَلَى الْمَعْنَى"(٣٠).

قال زرارة بن أوفى[٣١]: "لَقِيتُ عِدَّةً مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَاخْتَلَفُوا عَلَيَّ فِي اللَّفْظِ، وَاجْتَمَعُوا فِي الْمَعْنَى"[٣٢].

قال محمد بن سيرين[٣٣]: "كُنْتُ أَسْمَعُ الْحَدِيثَ مِنَ عَشَرَةٍ، الْمَعْنَى وَاحِدٌ وَاللَّفْظُ مُخْتَلِفٌ"[٣٤].

قلت: مما تقدم يتبين ما يأتي:

١- الأولى والأحوط أن يُؤتى بالحديث بلفظه دون معناه سدا للذريعة.

٢- أن يكون الراوي عالما بالألفاظ ومقاصدها، فإن لم يكن عالما بألفاظها ومقاصدها لم يجز له ذلك.

٣- للخروج من الخلاف يُحسنُ قول: (أو كما قال ﷺ).

٤- الأولى والأحوط لمن يكتب بحثا أو مصنفا أن يتحرى الدقة في نقل الأحاديث، خصوصا أن طباعة الكتب متوفرة وسهولة الحصول على الحديث بلفظه[٣٥]، والله أعلم.

المطلب الثاني

موقف الزُحيلي من رواية الحديث بالمعنى

بعد أن عرضنا أقوال العلماء في شروط رواية الحديث بالمعنى، نأتي إلى بيان موقف الزُحيلي من رواية الحديث بالمعنى؟

أما موقف الزُحيلي من رواية الحديث بالمعنى فقد جاء مفصلا في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قال تعالى: ﴾ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم ﴾[٣٦]، حيث بيّن معنى قول الله عز وجل ﴿ صدق الله العظيم ﴾أن بني إسرائيل عصوا ربهم، وخالفوا ما أمرهم الله به، حينما أمر الله اليهود بالدخول في باب القرية سجّدا قائلين: حطّة، بدلوا ودخلوا الباب، وقالوا: حبّة في شعرة، وكان قصدهم خلاف ما أمرهم الله تعالى به، فعصوا وتمردوا، فعاقبهم الله بالرجز، وفي هذا دليل على أنه لا يجوز تبديل الأقوال التي نُص عليها في الشريعة إن كان التّعبد بلفظها؛ لذمّ الله تعالى من بدّل ما أمر به بقوله.

أما إن كان التّعبد بمعناها فيجوز ابدالها بما يؤدّي نفس المعنى، ولا يجوز ابدالها بما يخرج عن ذلك المعنى.

وبناء عليه أجاز جمهور العلماء للعالم بمواقع الخطاب البصير بآحاد كلماته رواية الحديث النّبوي بالمعنى، لكن بشرط المطابقة للمعنى بكماله.

واتّفق العلماء على جواز نقل الشرع للأعاجم غير العرب بلسانهم وترجمته لهم، وذلك هو النقل بالمعنى.

وقد فعل الله ذلك في كتابه فيما قصّ من أنباء ما قد سلف، فقصّ قصصا ذكر بعضها في مواضع بألفاظ مختلفة والمعنى واحد، ونقلها من ألسنتهم إلى اللسان العربي، وهو مخالف لها في التقديم والتأخير، والحذف والإلغاء، والزيادة والنقصان. وإذا جاز إبدال العربية بالعجمية، فلأن يجوز بالعربية أولى.

وأما حديث: "نضّر الله وجه امرئ سمع مقالتي، فبلّغها كما سمعها"[٣٧] فالمراد حكمها، لا لفظها، لأن اللفظ غير معتدّ به[٣٨].

أمثلة على إيراد الحديث بالمعنى في التفسير المنير"

١- في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱلْعَظِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ ﴾[٣٩]حيث بيّن أن الآية تضمنت زكاة العين "أي النقود" وهي تجب بأربعة شروط: "حرية، وإسلام، وحول، ونصاب سليم من الدين"، وذكر جملة من الأحاديث في وجوب هذه الشروط في الزكاة العينية ومنها قوله: "وأما اشتراط النصاب فلأن النبي ﷺ قال ما معناه فيما رواه أبو داود عن علي رضي الله عنه: ليس في أقل من مائتي درهم زكاة، وليس في أقل من عشرين دينارا زكاة"[٤٠].

هنا الزُحيلي نقل روايةً بالمعنى في وجوب اشتراط النصاب في الزكاة، والحديث قد رواه أبو داود في سننه بلفظه، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِبَعْضِ أَوَّلِ هَذَا الْحَدِيثِ، قَالَ: "فَإِذَا كَانَتْ لَكَ مِائَتَا دِرْهَمٍ، وَحَالَ عَلَيْهَا الْحَوْلُ، فَفِيهَا خَمْسَةُ دَرَاهِمَ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ شَيْءٌ - يَعْنِي - فِي الذَّهَبِ حَتَّى يَكُونَ لَكَ عِشْرُونَ دِينَارًا، فَإِذَا كَانَ لَكَ عِشْرُونَ دِينَارًا، وَحَالَ عَلَيْهَا الْحَوْلُ، فَفِيهَا نِصْفُ دِينَارٍ، فَمَا زَادَ، فَبِحِسَابِ ذَلِكَ"[٤١].

قلت: قد نقل الزُحيلي حديثا وأشار إلى روايته بالمعنى بقوله: "ما معناه" فلم ينقل الحديث بلفظه مع أنه أشار إلى تخريجه بقوله: "سنن أبي داود"، ومع هذا فلو نقله بلفظه لكان أتمَّ وأحسن خصوصا أن الحديث فيه ألفاظ خاصة تحتاج إلى دقة في النقل وهو الأكمل، والله أعلم.

٢- في تفسيره لقوله تعالى: ﴿عَبَسَ التَّكْوِيرِ الانفِطَارِ الْمُطَفِّفِينَ الانشِقَاقِ الْبُرُوجِ الطَّارِقِ الأَعْلَى الْغَاشِيَةِ الْفَجْرِ الْبَلَدِ الشَّمْسِ اللَّيْلِ الضُّحَى الشَّرْحِ التِّينِ الْعَلَقِ الْقَدْرِ الْبَيِّنَةِ الزَّلْزَلَةِ الْعَادِيَاتِ الْقَارِعَةِ التَّكَاثُرِ الْعَصْرِ﴾[٤٢] بيّن الزّحيلي مسألة قصر الصلاة للمسافر بصورة مفصلة واستعرض أقوال العلماء في المسألة، وفي معرض بيانه لمدة القصر للمسافر بيّن أن الحنفية يشترطون أن السفر المبيح للقصر من الكوفة إلى المدائن وهي مسيرة ثلاثة أيام، ودليلهم: قوله عليه الصّلاة والسّلام الذي رواه الإمام أحمد عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه، فيما معناه: "يمسح المقيم يوما وليلة، والمسافر ثلاثة أيام"[٤٣].

قلت: والحديث بلفظه قد رواه الإمام أحمد عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه، "أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمَرَ بِالْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ: ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ لِلْمُسَافِرِ وَلَيَالِيهِنَّ، وَلِلْمُقِيمِ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ"[٤٤].

هنا الزُحيلي نقل حديثا بمعناه وان كانت الألفاظ متقاربة، ولكن لو نقله بلفظه كان أتمّ خصوصا أنه أشار إلى تخريجه كما مر آنفا.

٣- قد يورد المصنف حديثا بالمعنى ويشير إلى نصه بالهامش، فقد ورد ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾[٤٥] بيّن أن هذه الآية معناها في الظاهر النهي عن قتل المؤمن نفسه في حال غضب أو ضجر "وهو الانتحار"، لكن اتفق جمهور المفسرين على أن معناه: "لا يقتل بعضكم بعضا، وإنما قال: أَنْفُسَكُمْ مبالغة في الزّجر" كما قال في الأموال: أَمْوالَكُمْ، جاء في الحديث: "المؤمنون كالنفس الواحدة"[٤٦].

ثم نقل نص الحديث في الهامش بقوله: "نص الحديث": "المؤمنون كرجل واحد، إن اشتكى رأسه اشتكى كله، وإن اشتكى عينه اشتكى كله" رواه مسلم عن النعمان بن بشير[٤٧]،[٤٨].

مثال آخر: في تفسيره لقوله تعالى: ﴿الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ﴾[٤٩] أي: إن النبي محمدا ﷺ أرأف بجماعة المؤمنين من أمته وأعطف عليهم من أنفسهم إذ هو يدعوهم إلى النجاة، وأنفسهم تدعوهم إلى الهلاك، كما قال ﷺ: "أنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تقتحمون فيها تقّحم الفراش"[٥٠].

أورد الزُحيلي هذا الحديث بالمعنى، وأشار إلى نصه في الهامش بعبارة: "نص الحديث" في صحيح مسلم عن أبي هريرة: "إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد نارا، فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه، وأنا أخذ بحجزكم[٥١] وأنتم تقحّمون[٥٢] فيه"[٥٣]،[٥٤].

٤- أحيانا يذكر الحديث بالمعنى، ويشير إليه بقوله: "أو كما قال".

مثال: في تفسيره لقوله تعالى: ﴿الحجر النحل الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل﴾[٥٥] فبيّن أن هذه الآية من أشد الآيات على أهل العلم، فإن العالم إن لم يعمل بما تعلم، حُرم بركة العلم، وكان بُعده عن ربه أعظم، كما نقل عن النبي ﷺ فيما رواه علي رضي الله عنه: "من ازداد علما، ولم يزدد زهدا، لم يزدد من الله إلا بعدا"[٥٦] أو كما قال[٥٧].

قلت: أورد الزُحيلي حديثا في تفسيره للآية الكريمة، وعبَّر عنه بقوله: "أو كما قال" إشارة إلى أن الحديث مروي بألفاظ متعددة، وهنا رواه بمعناه دون لفظه، مع بقاء المعنى الأصلي للحديث، والله أعلم.

خلاصة ما تقدم تبيّن أن الزُحيلي يرى جواز رواية الحديث بالمعنى ولكن بشروط بيّنها، ومن خلال البحث وجدت أنه سار على طريقة الإمام القرطبي في تفسيره "الجامع لأحكام القرآن" حيث أثار الإمام القرطبي مسألة رواية الحديث بالمعنى وبسط أدلة المانعين والمجيزين وناقشها بالتفصيل حتى توصل إلى نتيجة الجواز ووضع لذلك شروطا[٥٨]، وقد وافقه الزُحيلي في ذلك، والله أعلم.

الخاتمة:

اشتملت الخاتمة على أهم النتائج التي توصل لها الباحث من خلال هذا البحث، وهي كالآتي:

١- يعتبر الدكتور وهبة الزُحيلي من أبرز العلماء المعاصرين الذين برز دورهم في علوم شتى، منها الفقه وأصوله، والتفسير.

٢- اختلف العلماء في حكم رواية الحديث بالمعنى، فمنهم من منع ذلك، ومنهم من أجازه بشروط، والراجح هو الجواز بشروط.

٣- يرى الدكتور وهبة الزُحيلي جواز رواية الحديث بالمعنى بشروطه التي نص عليها، وهو منهج معتبر سار عليه كبار المفسرين.

٤- تنوعت منهجية الزُحيلي في الاستدلال بالحديث بالمعنى، فأحيانا ينص على رواية الحديث بالمعنى، وأحيانا يذكر نص الحديث في الهامش، وأحيانا يشير إليه بعبارة أو كما قال.

الهوامش:

(١) محمد الزحيلي، موسوعة قضايا إسلامية معاصرة، (١٦٧/١).
(٢) إحدى المدن اللبنانية في محافظة البقاع، تسمى بعروس البقاع، تم تأسيسها عام ١٧١١م، تشتهر بواديها الذي يجري فيه نهر البردوني، وتعتبر زحلة رابع أكبر مدينة من حيث عدد السكان في لبنان، ينظر: الأمير محمد علي بن محمد، الرحلة الشامية، (ص: ٦٢).
(٣) دير عطية: بلدة في القلمون، تتبع منطقة النبك في محافظة ريف دمشق، تبعد عن دمشق (٨٨كم) على الطريق المتجه نحو حمص، تنسب لدير قديم فيها واندثرت آثاره، وهي قديمة تأسست سنة (١٢٤١م)، يعمل سكانها بالزراعة وتربية الماشية، ينظر: المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، (٤٠٩/٣، ٤١٠).
(٤) ينظر: عمر صلاح العيد، الشيخ وهبة الزحيلي وجهوده في خدمة الفقه الإسلامي، (ص: ٧).
(٥) ينظر: بديع السيد اللحام، وهبة الزحيلي العالم الفقيه المفسر، (ص: ١٦، ١٧).
(٦) ينظر: عبد القادر عياش، معجم المؤلفين السوريين في القرن العشرين، (٥٣٦)، و محمد مطيع حافظ، تأريخ علماء دمشق، (٦١٥/١)، و بديع السيد اللحام، وهبة الزحيلي العالم الفقيه المفسر، (٢٠).
(٧) ينظر: عبد القادر عياش، معجم المؤلفين السوريين في القرن العشرين، (١٧١)، و محمد مطيع حافظ ، تأريخ علماء دمشق، (٧١٠/٢)، و بديع السيد اللحام، وهبة الزحيلي العالم الفقيه المفسر، (٢٠).
(٨) ينظر: محمد مطيع حافظ، تأريخ علماء دمشق، (٧٦٣، ٧٦٤/٢)، و بديع السيد اللحام، وهبة الزحيلي العالم الفقيه المفسر، (٢١).
(٩) نشر جامعة بنغازي – ليبيا ١٩٧٠م ، ثم طبع بدار قتيبة – دمشق.
(١٠) صدرت عن دار الفكر – دمشق بمجلد كبير بلغت عدد صفحاته حوالي (٨٠٠) صفحة.
(١١) مجلدان، دار الفكر بدمشق (١٤٠٦ه/١٩٨٦م)، وتكررت طباعته عدة مرات، ويعتبر موسوعة في علم أصول الفقه.
(١٢) (١٦ مجلداً)، وترجم إلى التركية، والفارسية، والماليزية، والإنكليزية، نشر دار الفكر بدمشق، (١٩٩١م) وتكررت كباعته مرات عديدة، وهو موسوعة في التفسير.
(١٣) دار المكتبي – دمشق (١٤١٧ه/١٩٩٧م).
(١٤) عمر صالح العبد، الشيخ وهبة الزحيلي وجهوده في خدمة الفقه الإسلامي، (ص: ١٩).
(١٥) الصباغ مجمد بن لطفي، الحديث النبوي: مصطلحاته – بلاغته – كُتبه، (ص: ١٧٠).
(١٦) القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض ابن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي؛ كان إمام وقته في الحديث وعلومه والنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم وصنف التصانيف المفيدة منها " الإكمال في شرح كتاب مسلم، ومنها " مشارق الأنوار " وهو كتاب مفيد جداً في تفسير غريب الحديث المختص بالصحاح الثلاثة وهي: الموطأ والبخاري ومسلم، توفي سنة ٥٤٤ه، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٤٨٣/٣).
(١٧) العسقلاني ابن حجر، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، (ص: ١٢٠).
(١٨) اليحصبي عياض بن موسى، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية والسماع، (ص: ١٨٠).
(١٩) أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد، المعروف بابن العربي المعافري الأندلسي الإشبيلي الحافظ المشهور، ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها، وكان من أهل التفنن في العلوم والابحار فيها والجمع لها مقدما في المعارف كلها متكلما في أنواعها نافذا في جميعها، حريصا على أدائها ونشرها، صاحب التصانيف الكثيرة منها: أحكام القرآن، وعارضة الأحوذي شح جامع الترمذي، توفي رحمه الله سنة ٥٤٣ه، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٢٩٧/٤).
(٢٠) ابن العربي، أحكام القرآن، (٣٥، ٣٦/١).
(٢١) الترمذي، السنن، أبواب: العلم، باب: ما جاء في لبحث على تبليغ السماع، (٣٣/٥) برقم: (٢٦٥٦)، وابن ماجه، السنن، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب: من بلغ علما، (٨٤/١) برقم: (٢٣٠).
(٢٢) ينظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، (١٢/١).
(٢٣) ينظر: القاسمي جمال الدين، قواعد التحديث، (ص: ٢٢١).
(٢٤) السخاوي، فتح المغيث، (١٣٨/٣).
(٢٥) ينظر: القاسمي جمال الدين قواعد التحديث، (ص: ٢٢١).
(٢٦) الطبراني، المعجم الكبير، (١٠٠/٧) برقم: (٦٤٩١)، والخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، (ص: ١٩٩).
(٢٧) ينظر: الصباغ محمد بن لطفي، الحديث النبوي: مصطلحه – بلاغته – كُتبه، (ص: ١٧٦).

[٢٨] المصدر نفسه: (ص: ١٧٧).
[٢٩] واثلة بن الأسقع بن كعب بن عامر الليثي، صحابي جليل من أصحاب الصفة، أسلم سنة: (٩ه)، وشهد غزوة تبوك، روى عن النبي ﷺ عدد من الأحاديث، توفي سنة: (٨٣ه) وكان ممن طال عمره فتجاوز المئة، ينظر: العسقلاني ابن حجر، الإصابة في تميز الصحابة، (٤٦٢/٦).
[٣٠] الطبراني، المعجم الكبير، (٥٤/٢٢)، والبيهقي، معرفة السنن والآثار، (١٣٤/١).
[٣١] زُرَارَةُ بن أوفى، أبو حاجب العامري، من أعلام التابعين، الإمام الكبير، قاضي البصرة، سمع عددا من الصحابة، منهم: (عمران بن حصين، ابن عباس، وأبو هريرة)، توفي وهي في الصلاة سنة: (٩٣ه)، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٥١٥/٤).
[٣٢] الرامهرمزي، المحدث الفاصل، (ص: ٥٣١).
[٣٣] محمد بن سيرين أبو بكر الأنصاري، الإمام شيخ الإسلام، مولى أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ سمع عددا من الصحابة منهم: (عمران بن حصين، ابن عباس، وأبو هريرة، وابن عمر، وغيرهم)، توفي سنة: (١١٠ه) وقيل: (١٠٨ه)، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٦٢٣/٤).
[٣٤] البيهقي، معرفة السنن والآثار، (١٣٤/١).
[٣٥] للاطلاع على المسألة مفصلة، ينظر: السيوطي، تدريب الراوي، (ص: ٥٣٠ - ٥٣٥)
[٣٦] سورة البقرة: الآية: (٥٨).
[٣٧] سبق تخريجه.
[٣٨] ينظر: الزُحيلي، التفسير المنير، (١٧٠/١).
[٣٩] سورة التوبة: الآية: (٣٤).
[٤٠] التفسير المنير: (١٩٥/١٠ ، ١٩٦).
[٤١] أبو داود: السنن، كتاب: الزكاة، باب: في زكاة السائمة، (١٠٠/٢) برقم: (١٥٧٣).
[٤٢] سورة النساء: الآية: (١٠١).
[٤٣] ينظر: الزُحيلي، التفسير المنير، (٢٤٠/٥).
[٤٤] أحمد بن حنبل، المسند، حديث عوف بن مالك الأشجعي الأنصاري، (٤٢٣/٣٩) برقم: (٢٣٩٩٦).
[٤٥] سورة النساء: من الآية: (٢٩).
[٤٦] الزُحيلي، التفسير المنير، (٣٢/٥).
[٤٧] مسلم: الصحيح، كتاب: الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، باب: تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ، (٢٠٠٠/٤) برقم: (٢٥٨٦).
[٤٨] الزُحيلي، التفسير المنير، (٣٢/٥).
[٤٩] سورة الأحزاب: من الآية: (٦).
[٥٠] الزُحيلي، التفسير المنير، (٢٤٥/٢١).
[٥١] بحجزكم: جمع حجزة وهي معقد الإزار وهو كناية عن حرصه ﷺ على منع أمته عن الإتيان بالمعاصي التي تؤدي بهم إلى الدخول في النار، ينظر: النووي، شرح صحيح مسلم، (٥٠/١٥).
[٥٢] (تقحّمون) التقحّم: هو الإقدام والوقوع في الأمور الشاقة من غير تثبيت، ينظر: النووي، شرح صحيح مسلم: (٥٠/١٥).
[٥٣] البخاري، الصحيح، كتاب: باب: الانتهاء عن المعاصي، (١٠٢/٨) برقم: (٦٤٨٣) ومسلم: كتاب: الفضائل، باب: شفقته ﷺ على أمته، (١٧٨٩/٤) برقم: (٢٢٨٤).
[٥٤] الزُحيلي، التفسير المنير، (٢٤٥/٢١).
[٥٥] سورة الأعراف: الآية: (١٧٥).
[٥٦] الديلمي، الفردوس بمأثور الخطاب، (٣٠٢/٣).
[٥٧] الزُحيلي، التفسير المنير، (١٦٥/٩).
[٥٨] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٤١١/١ – ٤١٤).

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٠٠.

٢- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م.

٣- سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجه اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.

٤- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بدون طبعة.

٥- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية.

٦- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، سنة الولادة ٧٧٣/ سنة الوفاة ٨٥٢،تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل سنة النشر ١٤١٢ – ١٩٩٢م.

٧- الكفاية في علم الرواية، أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي،(ت:٤٦٣هـ)، المكتبة العلمية - المدينة المنورة، تحقيق: أبو عبدالله السورقي ، إبراهيم حمدي المدني.

٨- الفردوس بمأثور الخطاب، شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو، أبو شجاع الديلميّ الهمذاني (ت: ٥٠٩هـ)، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

٩- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م.

١٠- الجامع المسند الصحيح المختصر من امور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ.

١١- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٢- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، (ت:٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث ، العربي ، سنة النشر ١٣٩٢،مكان النشر بيروت٠

١٣- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ) ، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: ١٤٢٣ هـ.

١٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

١٥- موسوعة قضايا إسلامية معاصرة، الأستاذ الدكتور محمد الزحيلي، دار المكتبي، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

١٦- الرحلة الشامية، الأمير محمد علي بن محمد توفيق بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن علي (ت: ١٣٧٤هـ)، حررها وقدم لها: علي أحمد كنعان، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

١٧- المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، مركز الدراسات العسكرية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

١٨- وهبة الزحيلي العالم الفقيه المفسر، بديع السيد اللحام، دار القلم – دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٢ه- ٢٠٠١م

١٩- الشيخ وهبة الزحيلي وجهوده في خدمة الفقه الإسلامي، عمر صلاح العيد، ٢٠٢١م.

٢٠- تأريخ علماء دمشق، محمد مطيع حافظ، ونزار أباظة، قدم له الدكتور شكري فيصل، دار الفكر – دمشق، الطبعة الأولى ١٩٨٦م.

٢١- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الدكتور وهبة مصطفى الزحيلي، (ت: ١٤٣٦هـ)، دار الفكر المعاصر – بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.

٢٢- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عيد الله بن ضيف الله الرحيلي، مطبعة سفير الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٣- تذكرة الحفاظ: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قليماز الذهبي، (ت: ٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٢٤- معجم المؤلفين السوريين في القرن العشرين، عبد القادر عياش، دار الفكر المعاصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٥م.

٢٥- الحديث النبوي: مصطلحاته، بلاغته، محمد بن لطفي الصباغ، (ت: ١٤٣٩ه)، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م.

٢٦- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان.

٢٧- الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت: ٥٤٤هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث / المكتبة العتيقة - القاهرة / تونس الطبعة: الأولى، ١٣٧٩هـ - ١٩٧٠م.

٢٨- فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ) علي حسين علي مكتبة السنة - مصر الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

٢٩- معرفة السنن والآثار أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) عبد المعطي أمين قلعجي جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي - باكستان)، دار قتيبة (دمشق -بيروت)، دار الوعي (حلب - دمشق)، دار الوفاء (المنصورة - القاهرة) الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٣٠- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي الفارسي (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق: د. محمد عجاج الخطيب، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٤ه.